من ضَيْغَمٍ مِنْ ضراء الأُسْد مخدَرُهُ ببطن «عَثَّر» غيلٌ دونه غيلُ[1]

فالرسول عنده أهيب من الأسد الخادر المفترس ، يبعث الروع والفزع فى النفس ، قد أقام فى الغياض فما يلقاه قلب إلا جزع وهلع ، وهكذا جعله فى الشجاعة والقوة والبأس حتى ما يوازن به إلاّ هذا الأسد العظيم فى الروعة والهيبة . وقد صدّق هذا الوصف قول الإمام علىّ بن أبى طالب فى نعته ، إنّ جلساءه كانوا يقعدون منه كأن على رءوسهم الطير لا يتنازعون عنده الحديث ولا يسفون فى المقال لأنهم كانوا يرعدون منه ويضطربون بمحضره ، فقوله هو القول الفصل وما هو بالهزل . وكعب بن زهير بعد أن وصف الرسول قال :

إنّ الرَّسُول لنور يستضاءُ به مُهَنَّدٌ من سُيُوف الله مَسْلُولُ

فهو سيف مطبوع من أشرف سيوف الهند وأفضلها مضاء ، لأنه سيف الله أرسله إلى العباد باسمه ، ليفصل بينهم ويحكم فى أمرهم ، وسله على المشركين وسلطه عليهم ليقطع به دابر الفوضى والشرك . وهذا منتهى المديح العربىّ القديم ، إذ بسط الكرم والفضل والعفو والتسامح والبأس والشجاعة فى شعر متين ملأه بالصور الضخمة والتعابير المتينة ، فجعله سيداً مطاعاً ورئيساً مهيباً ، وإماماً يحمل القرآن إلى البشر ، ويتحلى بخير الشمائل والصفات من تسامح وندى ورحابة صدر .

وحسان بن ثابت كان شاعر النبىّ حقًّا ، امتدحه لصفاته الفاضلة ورسم الدين الإسلامى رسماً موفقاً فقال :

وجبريلٌ رسولُ الله فينا ورُوحُ القُدْس لَيْسَ له كفَاءُ
وقال الله : قد أرسلتُ عبدًا يقول الحق إن نفع البلاءُ

---

(١) مخدره : مكانه — عثر : موضع — الغيل : الغيضة .